بهيج نصار (٢)

لم أشعر بالخوف ولكن غمرتنى دهشة بالغة
بهيج نصار «فى تعليق على حادثة اختطاف قتلة يوسف السباعى له مع آخرين»

وكانت ثمة أفكار تختمر داخل الحزب تنظر ربما بإعجاب وربما بدهشة لما يفعله عبدالناصر فى مجال الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية ويعتبرها البعض من الرفاق إجراءات ثورية، وربما تمادى البعض فقال إنها اشتراكية، ومن هؤلاء كان عادل حسين وبهيج نصار ونسمتع إلى بهيج «قبيل حملة القبض (أول يناير ١٩٥٩) أتى عادل حسين ومعه مجموعة من الكراسات مغلفة بغلاف أخضر ولهذا اشتهرت خلال مداولات المحكمة باسم الكراسات الخضراء، وفى هذه الكراسات قال عادل إن ثمةتطورات اقتصادية واجتماعية مهمة، وإن لم تكن اشتراكية بالمعنى العلمى إلا أنها ثورية وتقدمية. واتخذها المحامون سندا للقول بأن المتهمين يؤيدون عبدالناصر، وأثناء وجودنا بالسجن أصدر عبدالناصر قرارا بتأميم شركة أبورجيلة للأوتوبيس، ولأنى كنت مسئولا عن منطقة الجيزة فى الحزب وتقع الأنشطة العمالية ضمن مسئوليتنا فقد أدركت القيمة الحقيقية لهذه الخطوة، ثم كان تأميم البنك الأهلى وبنك مصر ثم تأميم الصحافة، وتكونت داخلى قناعات بضرورة تفهم ما يجرى وإن كان قضاة المحكمة العسكرية لم يتفهموا هذه المواقف وعاقبونا بعقوبات قاسية»، ومع ذلك طرح الموضوع للنقاش فى السجن، وكلف بهيج بمسئولية إنجاز الحوار.. لكن زنانين سجن القناطر كانت مغلقة دوما باستثناء دقائق قليلة، وأعد ورقة، كتبت على ورق البافرة، كل زنزانة تناقش وتكلف عضوا منها بنقل رأيها فى كلمة أو كلمات خلال الطابور الذى يسير فيه الزملاء أربعات ويجرى ترتيب الأربعات لتبادل الآراء.

وأعد بهيج تقريرا بالنتائج فى ورقة، دخلت التاريخ تحت اسم «المجموعة الاشتراكية» كتب بهيج محاذرا، كتب بشوك السجن على شوك الوضع الشائك، فإذا كانت المجموعة اشتراكية أو ثورية أو تقدمية فلماذا نحن فى السجن؟ قال فى الورقة «لديهم أفكار اشتراكية لكنها اشتراكية ليست كاشتراكيتنا إنها إجراءات مهمة تقترب بهم من الطريق الصحيح لكنها ليست كاملة، إنها مجموعة تتبنى أفكارا وتمارس إجراءات اشتراكية وإن كانت ليست اشتراكية بالمعنى المفهوم»، وقامت الدنيا ولم تقعد، فالبعض أمسك بهذا الخيط الذى نسجه بهيج، والبعض إتهمه فيما بعد أنه وضع الأساس لحل الحزب، لكنه يكتفى دوما بأن يطرح الأفكار بصراحة وصرامة وقدرة على الابتكار ولك أنت أن تختار. غير أن البعض كثيرا ما يغلق عقله أمام أى جديد ويلوك بدلا منها اتهامات مبتذلة لعلها تجبر البعض الذى يفكر فى إغلاق عقله هو الآخر، ولم يزل بهيج وحتى اليوم يقدم لراغبى المعرفة وإعمال العقل أفكارا جديدة لعلها توقظ العقول المعطلة عن الفعل.

وعندما يفرج عنه مع الجميع عمل فى جريدة الجمهورية، وفى هذه الأثناء كان مشغولا بضرورة كتابة تاريخ الحركة الشيوعية المصرية وكان صاحب الفضل فى تكليفى بالقيام بهذا المشروع المهيب الذى استغرق منى أكثر من ٢٥ عاما.

ويسافر بهيج إلى ألمانيا الشرقية مراسلا لوكالة أنباء الشرق الأوسط ثم يعود بعد فترة ليلعب دورا نشيطا وفاعلا فى المجلس القومى للسلام، وعندما عدت أنا من هلسنكى حيث عملت لفترة فى السكرتارية الدولية للمجلس العالمى للسلام، حل بهيج محلى ليبقى هناك زمنا طويلا، وهو زمن لم يضع هباء فهناك كان بهيج القلعة الأساسية لتعبئة الرأى العام العالمى وقوى السلام فى كل أنحاء العالم للدفاع عن الحق العربى وضد الحركة الصهيونية والعدوان الإسرائيلى وبهذا النضال استطاع أن يكون نائبا لرئيس لجنة التنسيق لدولية للقضية الفلسطينية بالتعاون مع الأمم المتحدة، وفى هذه الفترة ركز اهتمامه أيضا على دراسة مخاطر السلاح النووى الإسرائيلى على الأمن والسلام فى المنطقة، كما أصبح واحدا من أهم خبراء النشاط من أجل السلام ونزع السلاح النووى فى العالم، وبعدها يعود بهيج إلينا محملا بكل هذه الخبرات ويدهش إذ يجد أن البعض لم يزل منجذبا نحو السائد والمألوف وغير قادر على أن يفهم أهمية تعبئة الرأى العام العالمى لصالح القضايا المعاصرة، ولا السلام العالمى، ولا نزع السلاح النووى من منطقة الشرق الأوسط. ويعود

بهيج إلى محنة الكتابة والإلحاح فى الكتابة حول ما لا يهتم به هؤلاء الذين لا ينظرون إلا إلى ما تحت أقدامهم، ويتفجر بهيج إلحاحا على ضرورة التعامل مع العالم الجديد والذى يموج بثورة تكنولوجية تفرض عليه أن يكون قرية واحدة تتبادل التأثير.

.. لكننا ننسى حادثا بالغ الأهمية فى حياة بهيج، كان فى قبرص ليحضر ممثلا لمجلس السلام العالمى فى اجتماع لمنظمة التضامن الأسيوى - الأفريقى، ويطلق البعض الرصاص على يوسف السباعى ليسقط صريعا، ثم يختطفون عديدا من الحاضرين إلى طائرة لا تعرف إلى أين ستهبط ويكون بهيج ضمن المختطفين، أحد المختطفين سدد مسدسه إلى رأس بهيج، فتذكر كيف فعلها معه ضابط إنجليزى خلال المظاهرات الصاخبة عام ١٩٤٦ فانفجر غاضبا فى وجه الفتى الذى اختطفه، الفتى ورغم المسدس شعر بالفزع وربما شعر بالخطأ وبدأ فى حوار مع بهيج، الطائرة تسكعت. ليبيا هددت بإسقاطها إذا حاولت الهبوط وتسكعت الطائرة من مطار إلى مطار حتى هبطت فى جيبوتى لتتزود بالوقود ثم إلى قبرص مرة أخرى لينهمر عليهم رصاص كثيف وإذا بالفتى يحمى بهيج من الرصاص وعرف بهيج فيما أنها العملية الفاشلة التى خطط لها السادات لتحرير الرهائن فسقط قتلى كثيرون من الرهائن وفشل الهجوم غير العاقل.

ويعود بهيج إلى حزبه بعد فترة، ويعود إلى إلحاحه بضرورة التخلى عن الصيغ القديمة التى يمنع الانتماء إليها وترديدها بغير تعقل أى إعمال للعقل، يعود ليلح وليكتب محرضا على إعمال العقل.. دون ملل.. بهذا يستحق كل الاحترام وما هو أكثر من الاحترام.